

بقلبٍ غَضٍّ وروحٍ نَصْرَةٍ طائشة قليلة الزاد مزجاة البضاعة بلا خبرات ولا معرفة.. كبرا على الدنيا بشبهاتها وشهواتها .. تتخطفهما يد الشبهات تارة .. وتأخذهما يد الشهوات تارة؛ بلا مرشدٍ ولا دليل سوى ضميرهما وما تبقى في ذاكرتهما من الآيات والمبادئ إثر طفولتهما..

الصوت الأول

وفي زمنٍ ما.. كانتا صحبًا ورفاقًا، تجتمعان في حلقات القرآن تتليان كتاب الله وتتدارسانه بينهما، حفتها الرحمتا وبلغا الغايات ... جمعتهما دروس المصلى وحلقات العلم فكانتا خير معيتين لبعضهما ..

هكذا كانتا صحبًا عرفنا الحق بفضل من الله .. فجدوة العقيدة والإيمان بين ضلوعهما تشتعل لتضيء لهما الدرب في زمن كانت الفتيات فيه يتخبطن في بحرٍ لجي يغشاه موج من فوقه موج، فكان حالهما اصطفاً!
"فيا لله! ما أحلى لقانا
وما أحلى مسامرة المعالي"

"كلّ اجتماعٍ وإن طالَّ الزمانُ به
إلى افتراقٍ و ما للحبِّ إبقاء"

كانت هذه الحقيقة تكدر صفو اجتماعهما، ومن لم تفرق بينهم المنايا فرقت بينهم صروف الدهر.. والبقاء لله وحده والخلود في جنته ودار كرامته.

تصرمت الأيام والسنون، وكما كتب الله لهما اجتماعًا كتب لهما افتراقًا، وبين عينيهما "رجلان تحابا في الله اجتماعا عليه، وتفرقا عليه" **الصوت الثاني**

استمرت صلتهم لعدة سنوات ، ثم انشغلت كلّ واحدة منهما عن الأخرى.. فانقطعنا عن بعضهما البعض؛ كلّ واحدة وجهت وجهها إلى دنيا تصيبها وبقي الدعاء بالأسنة والود بالأفئدة.

فاختارت واحدة منهما مجالس العلم والذكر ودور التحفيظ محضًا لقلبها في خضمّ هذه الفتن، لعل موعظةً تجد سبيلًا فتشدد وناقها وتلم شتاتها .. والحمد لله الذي هدانا لهذا ..
مازال الشوق إلى الحبيبة التي رحلت عن عينها ووصلتها بدعائها ، تذكره في كل درس، وتدعو لها في كل إنجازٍ وتتمناها بقربها، لتتقاسما البهجة معًا،
غاب ولم يغب عني سناه.. وأتى لحبيبٍ نسيان حبيبه!

"يا كثيرًا في دعائي
يا قليلًا في التلاقي"

وأما الأخرى فأكملت حياتها حائرة تصلي أحيانًا وتفرط أحيانًا .. تصل أحيانًا وتهتدي أحيانًا .. غرقت في لجج الشهوات وغاصت في ظلمات الهوى بلا طريق واضح ولا صراط مستقيم حيرانة حزينة .. وإن سرى عنها بعض لذاتها فما تلبث حتى تعود إلى حيرتها وفراغها.
"أصبح الوجدان فقرًا
ضامئ الأرض سحيقًا
إنني أحتاج غيثًا
صافيًا يكفي البروقا"

ضاقت عليها دنياها، فلم يعد يسليها ما كانت تواقعه من حرام، وما عادت تجد أنسها مع صوحيباتها .. فعلمت أن بعدها عن خالقها وما فطرها الله عليه سبب لضنكها وضيقها .. وعلمت أن لا ملجأ من الله إلا إليه.. شعرت بالضياع والهلاك لا محاله..
أبيات عن الضياع تشدد

الصوت الرابع

مضت الأولى يومًا في طريق عابر، تلتمس حاجةً لها لتقضيها، تحرك طرفها فإذا بالصديقة القديمة !،
أنتها متلهفة للحظة اللقاء، حاضنة قلبها، مسلمة شادة على يديها.. لكن لا الوجه هو الوجه، ولا القلب هو القلب!

الصوت الأول

"لمَ يا صاح أخطأت الطريق
لم أبذل بالدرب الرفيق
لمَ أسلمت للشّر انقيادًا
وخاطبت الغواني والنعيقا
وأردتكَ المفاتن ذا افتراس
وبالأمس القريب فتًا رفيقا
وخضتم في بحر اللهو عشقًا
أظنّ البحر يا صاح عميقا"

الدنيا سلبت قلبها، وأخذت لبّها، ومضت فيها متخبطة .
أين هو القران من قلب الصديقة؟ أين تيك المجالس؟ أين شدك على يدي في كل مرة تكررين على مسمعي "الأخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"
أين خطواتنا نحو الحلقة معًا؟
أين اجتماعنا في المصلى ؟
أين دموعك عند كلّ موعظة؟

"أتذكرُ أمسنا أحييت غرقى
فأمّا اليوم أصبحت الغريقا
أتذكرُ إذ تلوت الآي عذبًا
فأسعدت المجالس والصديقا
أتذكر إن مددت إليّ كفًا
وإذا عاهدتني عهدًا وثيقا
بان ودادنا في الله باقي
ولكن العهد بدت بريقا"

أين ذاك الربيع الوارف من قلبك؟ أصابه إعصارٌ من الفتن فاحترق؟
أعظك وقد كنت واعظتي بالأمس؟ أم أرثي ذاك القلب الطاهر وأكبر عليه أربعا؟

"يا رفيق الصبا
أين عهد مضى؟
أينا ما كان من
وصلنا والهوى؟
يارفيق الصبا
كلنا ذو خطا
ربّ سيف نبا
وجوادٍ كبا"

فسكبت عبرة صديقتها وندم جنانها والتفتت عنها ثم خلت بنفسها وتذكرت أيام صداقتهما فبكت ندماً وحسرة

وذهبت تبحث عن مخرج، فحاصرتها الشكوك ووساوس الشيطان ..وأخذت تسائل نفسها:
هل سيغفر الله لي ما قارفت من الذنوب؟
هل لي أن أعود بذلك القلب الطاهر متخلصة من درون السيئات؟

فانكبّت على قراءة القرآن وتدبره داعية ربها أن يجعله ربيع قلبها ونور صدرها وذهاب همها وغمها حتى قرأت قوله تعالى:
{قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم}

صوت الدعاء
وامواج

تنشد:

"إلهي وقفتُ دموعي تسيل
وقلبي ببابك..باكٍ ذليل
فذنبي كبير..وزادي قليل
فمنّ عليّ بعفو جميل"

فأيقنت بعفو الله وغفرانه.. وسألت الله أن يجعل في صدرها نوراً..ثم بدأت بالتقلل من ذنوبها ومعاصيها مستعينة بربها ثم صديقتها ..

فعبرت طريقه شيئاً فشيئاً إلى النور .. وكانت تلك بدايتها للخير، شرعت تبحث عن ملجأ لها عن الشهوات والفتن، فوجدت من يرشدها لذلك وأتاحت له مجالس الذكر فما كان منها إلا أن لازمتها وأصبحت كظلها، فعوضها الله بصديقة صالحة، وعلم نافع .. وكان أمامها طريق طويل يجب الاسراع به حتى تتدارك ما أضاعته من الوقت، فاستعانت بربها وتوكلت عليه وهو حسبها ونعم الوكيل..

فمضت عليها الأيام في جنان الصحبة الصالحة والدروس النافعة.. تستظل بظلها وتستقي من عذب زلالها..داعية ربها بحسن الختام والجمع في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وحسن أولئك رفيقاً.

الصوت الثالث